

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿(الأحزاب: ٤١، ٤٣)

تهمة بغیضة

الكتيب الذي نشرته الحكومة الباكستانية والذي يسميه الناس بـ "البيان الأبيض المزعوم"، أُلصقت من خلاله تهمة باطلة كثيرة بسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ والأحمدية. والتهمة الأكثر شناعةً وكذبًا وإيذاءً هي أن حضرته ﷺ قد أنكر- والعياذ بالله - الآية التي استهلكتُ بها خطبتي، ولم يكن يعتقد أن النبي ﷺ خاتم النبيين وبالتالي فإن الأحمدية أيضا تعتقد الاعتقاد نفسه.

هذه تهمة شنيعة وبغیضة للغاية، لا أساس لها من الصحة أبدًا. والذي لديه أدنى إلمام بكتابات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ لن يعير لها أدنى اهتمام أبدًا. ولكن المشكلة - لسوء الحظ - إن معظم الناس ليسوا مطلعين على كتاباته ﷺ. أما الذين كان من الممكن أن تصل إليهم هذه الكتابات فقد وضعت الحكومة الباكستانية العراقيل في سبيلهم بمصادرة كتبنا التي من شأنها أن تؤدي مطالعتها بالمسلم العادي إلى حقيقة الأمر.

إيمان قوي بخاتم النبيين ﷺ

أما فيما يتعلق بكذب التهمة السالفة الذكر فهناك أقوال كثيرة بهذا الخصوص

المفهوم الحقيقي لختم النبوة

الحلقة الأولى من خطاب ألقاه حضرة مرزا طاهر أحمد

الخليفة الرابع لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام

أثناء المؤتمر السنوي للجماعة في بريطانيا سنة ١٩٨٥م،

ردًا على تهمة باطلة أُلصقتها حكومة باكستان آنذاك بجماعتنا نشرتها في

كتيب تحت عنوان «القاديانية خطر رهيب على الإسلام» أثناء حملتها الشرسة

ودعايتها الكاذبة ضد جماعتنا ومؤسسها عليه السلام

نقله إلى العربية : عبد المجيد عامر*

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿(أمين)

«تنشر أسرة التقوى ترجمة هذا الخطاب على مسؤوليتها»

* داعية إسلامي أحمدية

الجزائن الروحانية ج ٢ ص ٧١)

مثال سافر للتلبيس

الآن أتناول واحدة بعد أخرى ذكر تُهمُّ وُجَّهت إلى الأحمديَّة ومؤسَّسها في الكتيب المذكور. وما جاء فيه هو مثال سافر للدجل والتلبيس. ولقد قُدِّمت فيه - كما سأقرأ عليكم بعض المقتطفات منه - استنتاجات خاطئة يتمويه الحق بالباطل، أو باستخراج نتائج خاطئة عمدًا من القول الحق، أو عن طريق نتائج منطقية - على قدر زعمهم - من كذباتهم التي افتروها. وهكذا أصبح البيان الأبيض المزعوم مثالاً فريداً من نوعه للتلبيس وإخفاء الحق، فقد... جاء فيه:

«ما زال تفسير "خاتم النبيين" رائجاً في الدنيا كله في غضون ١٤ قرناً الماضية أن سيدنا محمداً ﷺ كان آخر نبي من أنبياء الله، ولن يأتي بعده نبي. هذا ما فهمته صحابة الرسول ﷺ أيضاً من المصطلح القرآني "خاتم النبيين". وبناء على عقيدتهم الراسخة هذه ظلوا متكاتفين ضد كل من أعلن النبوة. كما لم يتسامحوا قط على مر التاريخ الإسلامي مع أي شخص ادعى النبوة». (الكتيب الحكومي المذكور ص ٢٤-٢٥)

الله محمد رسول الله» إن اعتقادنا الذي نتمسك به في هذه الحياة الدنيا، وعليه سوف نرحل من عالم الفناء هذا بفضل الله وتوفيقه هو: أن سيدنا ومولانا محمداً المصطفى ﷺ هو خاتم النبيين وخير المرسلين الذي أكمل الدين على يده، وتمت النعمة التي بواسطتها يستطيع الإنسان الوصول إلى الله ﷻ باختياره سبيل النجاة سالكا على الصراط السوي». (إزالة الأوهام، الجزائن الروحانية ج ٣ ص ١٦٩، ١٧٠) وقال أيضاً ما تعريبه:

«بما أن النبي ﷺ كان أفضل الأنبياء كلهم وأعلمهم وأكملهم وأرفعهم وأجلهم وأصفاهم في كافة مقتضيات الطهارة الباطنية وانسراح الصدر والعصمة والحياء والصدق والصفاء والتوكل والوفاء وحب الله، لذا فقد عطَّرَه الله جلَّ شأنه بعطور الكمالات الفريدة أكثر من غيره. والصدر والقلب اللذان كانا أكثر رحابة وطهارة وبراءة وعشقا من صدور الأولين والآخرين وقلوبهم، لذا فقد استحقا بجدارة أن ينزل عليهما وحي أقوى وأكمل وأرفع من وحي الأولين والآخرين جميعاً، ليكون مرآةً واسعة ونقية لانعكاس الصفات الإلهية". (سرمه حشم آريا،

لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ نظماً ونثراً، تبرهن بكل وضوح على أنه ﷺ كان يؤمن إيماناً قوياً وراسخاً بكون سيده وسيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين بعمق وشمولية ومعرفة ويقين أكثر من غيره. كما تُبين هذه الأقوال أن معرفته ﷺ بمفهوم ختم النبوة عميقة وشاملة لدرجة لم يبلغ معاندونا أو العلماء الآخرون عشر معشارها إطلاقاً.

يقول سيدنا الإمام المهدي ما تعريبه: «يجب أن تتذكروا جيداً في هذا الصدد أن التهمة التي تُلصق بي وبجماعتي أننا لا نؤمن بكون النبي ﷺ خاتم النبيين، إنما هي افتراء عظيم علينا. فالقوة واليقين والمعرفة والبصيرة التي بها نؤمن ونتيقن نحن بكون النبي ﷺ خاتم الأنبياء، لا يؤمن الآخرون بجزء من المائة ألف منها، وذلك ليس بوسعهم أيضاً. إنهم لا يفهمون الحقيقة والسر الكامن في مفهوم ختم النبوة لخاتم النبيين ﷺ. لقد سمعوا هذه الكلمة من آبائهم ولا يعرفون حقيقتها ولا يعرفون ما هو ختم النبوة وما المراد من الإيمان به. ولكننا نؤمن بكون النبي ﷺ خاتم النبيين بالبصيرة التامة (التي يعلمها الله). إن الله قد كشف علينا حقيقة ختم النبوة بحيث نجد من شراب المعرفة الذي سقينا إياه لذةً لا يتصورها أحد إلا الذين سقوا من هذا ينبوع.» (الملفوظات، ج ١، ص ٣٤٢، طبعة لندن) ثم يقول حضرته ﷺ في موضع آخر ما تعريبه: «إن ملخص ديننا ولبه هو «لا إله إلا

” هذه تهمة شنيعة وبغيضة للغاية، لا أساس لها من الصحة أبداً. والذي لديه أدنى إلمام بكتابات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ لن يعير لها أدنى اهتمام أبداً. ولكن المشكلة - لسوء الحظ - إن معظم الناس ليسوا مطلعين على كتاباته ﷺ. “

ثم يقولون:

«هناك المفكرون المسلمون الكبار من أمثال ابن خلدون، المؤرخ المعروف وصاحب الرأي القويم، والإمام ابن تيمية وتلميذه المتنور ابن القيم، وشاه ولي الله المحدث الدهلوي، والعلامة محمد إقبال الذين بحثوا في مضمون ختم النبوة من الناحية العلمية والاجتماعية والسياسية، وسوف تقرأون لاحقاً في هذا الكتيب أفكار العلامة إقبال حول هذا الموضوع».

(المرجع السابق ص ٦-٧)

فيما يتعلق بالجزء الثاني من قولهم عن معاملة تلقاها كل من ادعى النبوة في تاريخ المسلمين ونتيجتها المنطقية فسأناقشها لاحقاً، ولكنني أود أن أبين أولاً أن قولهم بأن صلحاء الأمة القدامى لم يزالوا يعلنون دون استثناء أن آية «خاتم النبيين» لا تعني شيئاً إلا «النبي الأخير» فهو قولٌ باطلٌ بديهي البطلان، بل تهمة صريحة على صلحاء الأمة القدامى.

إن موضوع خاتم النبيين واسع وعميق جدا ويحتوي على معانٍ شاملة لدرجة لو شرحنا المعاني وفسرنا كلمة «خاتم النبيين» فقط دون دحض استدلال المعاندين لاقتضى الأمر وقتاً طويلاً ولاستحال إكمال الموضوع في جلسة واحدة لذا سوف أقتصر اليوم على الرد على اعتراضاتهم.

منزلة مفكري الإسلام

فيما يتعلق بمفكري الإسلام العظام فلا شك في منزلة سامية للمفكرين الثلاثة

المذكورين في بداية القائمة أعلاه. لا شك في إنهم قد أدوا خدمات جليلة للإسلام وفلسفته. وتعترف الجماعة الإسلامية الأحمدية بتصريح الكتيب هذا وتقول إنهم كانوا فلاسفة كباراً حقاً. أما فيما يتعلق بتقديمهم العلامة إقبال كأحد مفكري الإسلام فأقدم لكم مقتبساً من أقوال هذا العلامة إقبال نفسه لتعلموا نوعية مفكر الإسلام هذا وحالته.

يقول العلامة إقبال في خطابه الموجه إلى السيد صوفي غلام مصطفي تبسم:

«إن دائرة معلوماتي الدينية ضيقة جداً. لقد أمضيت معظم فترة حياتي في دراسة الفلسفة الغربية. وهذه الأفكار أصبحت فطرتي الثانية إلى حد ما. إنني أطلع حقائق الإسلام من هذا المنطلق قصداً أو عن غير قصد مني». (إقبال نامه، الجزء الأول ص ٤٦-٤٧، الناشر: شيخ محمد أشرف تاجر الكتب، كشميري بازار لاهور)

فمفكر الإسلام الذي يعترف بنفسه أنه يطالع القرآن متأثراً بالمفكرين الغربيين والفلسفة الغربية، وعلاوة على ذلك معلوماته الدينية قليلة جداً، فإن تقديمه كحجة أمام الأمة المسلمة لا يليق إلا بكتاب هذا الكتيب ولا يمكن أن يخطر ذلك ببال شخص عاقل إطلاقاً.

ختم النبوة يحيط بالكمالات كلها

أما فيما يتعلق بكون النبي ﷺ "خاتم النبيين" ومعاني الكلمة الواسعة فسأقدم إليكم بعضاً من أقوال سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ، ثم تتبعها أقوال

هذا هو مفهوم ختم النبوة الحقيقي! أي أن النبي ﷺ أرفع منزلة من كافة المخلوقات ومن الملائكة أيضاً. مما يعني أن ختم النبوة والمعراج اسمان لشيء واحد.

مماثلة لصلحاء الأمة القدامى سوف تعرفون من خلالها كيف حاول كتّاب البيان الأبيض المزعوم تقديم هذا الموضوع الشامل الواسع في إطار ضيق وبصورة خاطئة. إذ يرون أن كلمة خاتم النبيين لا تعني إلا النبي الأخير من حيث الزمن، في حين قد رفضت الأمة المحمدية هذا المفهوم رفضاً باتاً. أما المعاني الواسعة والمعارف الدقيقة الأخرى العظيمة الشأن فقد أهملها أصحاب الأفكار السطحية هؤلاء.

يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ ما تعريبه:

«الحق الذي لا يقبل الشك هو أنه لا أحد من الأنبياء يمكن أن يتساوى مع النبي الأكرم ﷺ في كمالاته القدسية بصورة حقيقية، حتى إن الملائكة أيضاً لا يقدرّون على التساوي معه ﷺ في هذا المجال ناهيك عن غيرهم». (البراهين الأحمدية، الخزانة الروحانية ج ١، ص ٢٦٨)

هذا هو مفهوم ختم النبوة الحقيقي! أي أن النبي ﷺ أرفع منزلة من كافة المخلوقات ومن الملائكة أيضاً. مما يعني أن ختم النبوة والمعراج اسمان لشيء واحد. ثم يقول حضرته ﷺ ما تعريبه:

حقائق أخرى كما ليست هناك حقائق كانت موجودة من قبل ولا توجد فيها. لذا فقد حُتمت بها النبوات كلها، وهكذا كان من المفروض أن يكون». (الوصية، الخزانة الروحانية ج ٢٠ ص ٣١١)

إذن فلم تعد هناك حاجة للاقتداء بالنبوات والكتب السابقة على حدة، وهذا أيضا من مقتضيات ختم النبوة. لو بقي جزء من النور أو الحقائق خارج دائرة نبوة محمد ﷺ لكانت هناك حاجة للاقتداء بها على حدة. ولكن إذا جمع كل حقيقة ونور في مجال ختم النبوة وتجلي بلمعان جديد وبلغ ذروة الكمال، فالنبي الذي أغنى الباحث عن الخيرات من كل باب (غير بابه) سُمي بخاتم النبيين.

كذلك يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ في آياته:

«لا شك أن محمدا خير الوري

رَيْقُ الكرام ونخبة الأعيان

ثُمَّ عَلَيْهِ صفات كل مَرِيَّةٍ

خُتِمَتْ به نَعْمَاءُ كلِّ زمانٍ

هو خيرٌ كلِّ مَقَرَّبٍ ومَقَدَّمٍ

والفضلُ بالخيرات لا بزمانٍ

يا ربِّ صلِّ على نبيك دائما

في هذه الدنيا وبعث ثانٍ

(مرآة كمالات الإسلام، الخزانة

الروحانية ج ٥، ص ٥٩٢، ٥٩٣)

ثم يقول في آيات باللغة الفارسية ما تعريبه:

«الرسول الذي اسمه محمد ﷺ يتمسك بوجوده الطاهر دائما. هو خير الرسل وخير الأنام وختمت به كل نبوة. الماء (الروحي)

»لقد بلغت جميع النبوات والرسالات كمالها عند وصولها ذروتها، أي في شخص سيدنا وإمامنا محمد ﷺ». (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية ج ١٠، ص ٣٦٧)

أي لم تتمركز فيه ميزات كافة الأنبياء السابقين بصورة عادية فقط بل بلغت ذروتها. هذا هو كلام المعرفة العميقة عن ختم النبوة والتي وهبها الله ﷻ لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ.

يقول حضرته في موضع آخر ما تعريبه:

«إن نبينا الأكرم ﷺ جامع لجميع

الكمالات المختلفة كما قال الله

ﷻ: [فبهدهم اقتده]، أي اقتد كل نوع

من الهدى الذي أُعطي للأنبياء السابقين

كلهم. فمن الظاهر أن الذي سيجمع في

نفسه هدايات متفرقة يكون أكمل وأفضل

من الأنبياء كلهم». (عين المسيحية،

الخزانة الروحانية ج ٢٠، ص ٣٨١)

هنا ذكر سيدنا الإمام المهدي والمسيح

الموعود ﷺ صفة "خاتم النبيين" من

ناحية التعليم والهدى، إذ جُمعت في تعليم

النبي ﷺ الجزء الأمثل من جميع التعاليم

التي جاءت إلى الدنيا على مر العصور.

ثم يقول حضرته ﷺ ما تعريبه:

«النبوات والكتب التي جاءت من قبل لا

حاجة للاقتداء بها على حدة، لأن النبوة

المحمدية تشمل جميعها. (وهذه نتيجة

طبيعية لإعلان ورد في مقتبس سابق)

والسبل الأخرى ما عدا هذه النبوة

مسدودة كلها. ففيها كل نوع من الحقائق

التي توصل إلى الله تعالى. لن يأتي بعدها

»إن فراسة نبينا ﷺ وفهمه أكثر من فراسة كافة الأمة وفهمها. إن مسلكي الذي أستطيع إثباته بالبراهين هو أن فراسة جميع الأنبياء وفهمهم لا تتساوى مع فراسة النبي الأكرم ﷺ. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية ج ٣، ص ٣٠٧)

أي أن ختم النبوة يشمل جميع كمالات النبوة، والفراسة جزء منه.

لقد اطلعنا على هذه المعاني السامية بفضل سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ.

وهناك من الصلحاء القدامى الذين ذكروا

أفكارًا مماثلة لها من قبل. أما فيما يتعلق

بعمق الموضوع وشموليته فأقوال سيدنا

الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ عن

مكانة النبي، خاتم النبيين ﷺ عميقة وشاملة

جدا. يقول حضرته ما تعريبه:

«الحق الذي لا يقبل الشك هو أنه لا

يتساوى أحد من الأنبياء مع النبي الأكرم

ﷺ بصورة حقيقية في كمالاته القدسية.

حتى الملائكة أيضا لا يقدرّون على

التساوي مع النبي ﷺ في هذا المجال ناهيك

عن غيرهم». (البراهين الأحمدية، الخزانة

الروحانية ج ١، ص ٢٦٨)

ليس من ناحية الفراسة فقط، بل من

ناحية القوة القدسية أيضا كان النبي ﷺ

قد جمع في شخصه الطاهر القوة القدسية

لكافة الأنبياء والملائكة. فبناء على ذلك

سُمي ﷺ خاتم النبيين. كنت قد أوردت

هذا المقتبس من قبل أيضا ولكن رأيت

من الأنسب شرح الموضوع من هذا

المنطلق الجديد أيضا.

ثم يقول حضرته ﷺ ما تعريبه:

كله نشره منه، وكل من يرتوي إنما يرتوي بفضلته. وبفضله ﷺ نحصل على كل نور وكمال، ويستحيل الوصول إلى المحبوب الأزلي إلا بواسطته. هذا هو عشقي لحمد ﷺ، والقلب يطير إلى المصطفى ﷺ مثل الطير دائماً». (سراج منير، الخزائن الروحانية، ج ١٢، ص ٩٥)

مفهوم عميق لـ "خاتم النبيين"

هنا يبين حضرته ﷺ مفهوماً جديداً لخاتم النبيين، وهو أن ختم النبوة لا يكتفي بجمع درجات الكمال في نفسه بل يوسّع دائرة بركاتهما إلى الآخرين أيضاً. حتى يظل كل تلميذ مخلص لخاتم النبيين ﷺ. حاصلًا على الكمالات على مر العصور. يوضح حضرته هذا الموضوع في مكان آخر في بيت من شعره ما تعريه:

«لقد صرنا خير الأمم بفضلك يا خير الرسل! ولقد تقدمنا إلى الأمام نتيجة لتقدمك».

هذه بضع نماذج من مفاهيم ختم النبوة من نواح مختلفة قدمتها إليكم. غير أن هناك كنزاً كبيراً مكنوناً في أقوال سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ حول موضوع خاتم النبيين. ولقد صدق حين قال: إن المعاندين لا يدركون ولا يفهمون جزء من المائة ألف من المفاهيم المكونة لكلمة "خاتم النبيين". أفكارهم وتصوراتهم لا تسمو إلى منزلة النبي ﷺ السامية التي عرفها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ. ولو قرأ شخص عادل وذو قلب حساس أقواله ﷺ بتأن

وتأمل لتوصل إلى النتيجة نفسها لا محالة. وكذلك الصلحاء الأسلاف أيضاً ذكروا الأمور نفسها بصورة متفرقة وقد جمعها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ في كتبه. إذن فكما كان النبي ﷺ خاتم النبيين كذلك كان سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ خاتم عشاق النبي ﷺ. ليس هناك جانب واحد من أوصاف الرسول ﷺ الظاهرة التي ذكرها الآخرون بصورة متفرقة ولم يجمعها الإمام المهدي ﷺ في كتاباته. كما أنه ليس ثمة جانب واحد من مفاهيم ختم النبوة ذكره الآخرون ولم يذكره حضرته ﷺ بصورة أفضل وأجلى وأرفع وأكمل من غيره. يقول الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي المتوفى ٣٠٨ هـ: «ومعناه عندنا أن النبوة تمت بأجمعها لمحمد ﷺ، فجعل قلبه بكمال النبوة وعاءً عليها ثم ختم». (كتاب ختم الأولياء ص ٣٤١، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٥ م)

لاحظوا الفرق!! يقول فضيلة الشيخ: إن الكمالات كلها قد جمعت ثم ختمت. يضم هذا الكلام مفهوم الإغلاق أيضاً. في حين يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ أنه لا شك أن الكمالات كلها قد جمعت في شخص سيدنا محمد ﷺ. الكلام إلى هنا لا بأس فيه، ولكن لا يصح القول إن الرسول ﷺ حصراً على نفسه ولم يوسّعها إلى الآخرين. إن النبي ﷺ جامع للكمالات والبركات كلها، ولكنه لا يحصرها في

نفسه بل يوسعها للآخرين أيضاً. يقول الإمام فخر الدين الرازي المتوفى ٥٤٤ هـ:

«فالعقل خاتم الكل، والخاتم يجب أن يكون أفضل. ألا ترى أن رسولنا ﷺ لمّا كان خاتم النبيين كان أفضل الأنبياء». (التفسير الكبير للإمام الرازي ج ٦ ص ٣١)

تأويلات حكيمة لمفكري الإسلام

أما فيما يتعلق بمفكري الإسلام الذين يعترف بهم الكتيب الحكومي أيضاً كمفكري الإسلام الكبار. فيقول أحدهم وهو العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي (المتوفى ٨٠٨ هـ):

«ويمثلون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الأولياء أي حائزاً للمرتبة التي هي خاتمة الولاية كما كان خاتم الأنبياء حائزاً للمرتبة التي هي خاتمة النبوة». (مقدمة ابن خلدون للإمام عبد الرحمن محمد بن خلدون ص ٣٠٠، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨ م)

أي أنه ليس المقصود من "خاتم" الأخير من حيث الزمن، بل المراد الأعلى منزلة ومكانة وإلا سوف تختفي الولاية إلى الأبد - والعياذ بالله - والأمة ستحرم من الولاية نهائياً.

يقول سلطان الأولياء حضرة أبو سعيد مبارك بن علي المحزومي المتوفى ٥١٣ هـ وهو المرشد الروحاني لحضرة عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

«والأخيرة منها أعني الإنسان إذا عرج

خاتمته ﷺ. ولن يغلق باب المكاملة الإلهية ومخاطبتها على هذه الأمة إلى يوم القيامة. وليس هناك نبي صاحب الخاتم إلا هو ﷺ. وهو الوحيد الذي يمكن أن توهب بفضل خاتمته النبوة التي لا بد أن تكون من الأمة». (حقيقة الوحي، الخزانة الروحية ج ٢٢، ص ٢٩، ٣٠)

ثم يقول حضرته ﷺ ما تعريبه:

«إني أؤمن بنبيه بصدق القلب، وأعلم أن النبوات كلها قد خُتمت عليه. وشريعته خاتمة الشرائع إلا إن هناك نبوة لم تنقطع، أي النبوة التي توهب نتيجة الاقتداء الكامل به، والتي تستنير بمصباحه، فإنها لم تنقطع لأنها نبوة محمدية ﷺ أي ظلها وهي بواسطتها ومنها تستفيض». (عين المعرفة، الخزانة الروحية ج ٢٣ ص ٣٤٠)

وعلاوة على ذلك يقول سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ في موضع آخر بأن الأنبياء كلهم مدينون لخاتم النبيين لأن صدقهم قد تحقق بسبب تصديقه ﷺ إياهم بهذا الخاتم. ولو لم يصدق النبي ﷺ الأنبياء الآخرين لما كنا من المؤمنين بصدقهم. فهذا فضل بحسب من النبي ﷺ أنه ما من على الأنبياء السابقين كلهم فقط بل على الأنبياء المبعوثين في كل مكان من العالم بتصديقه إياهم. فبركة كونه خاتم النبيين تعود إلى الوراء كما تمتد إلى الأمام في آن واحد من حيث الزمان ومن حيث المكان.

واسمعوا الآن قولاً آخر يبين معنى كون النبي ﷺ خاتم النبيين وهو قول أحد من الأقطاب وأولياء الله الكبار حسب اعتقاد

نائبين لله تعالى كما يفعل الولاة وغيرهم، لذا يجب أن يكون لهم الحكم... فكما أن الولاية أو الوزارة هي أعلى المراتب التابعة للملك، والمراتب الأخرى كلها تكون خاضعة لها. فالوالي أو الوزير يستطيع أن يتجاوز عن أوامره ولا يستطيع أحد أن يتجاوز عن أوامره. والسبب أن درجات المراتب تُختم عليه. كذلك لا توجد مرتبة أو درجة في مراتب النبوة فوق مرتبة "خاتم النبيين"، بل تكون المراتب الأخرى كلها خاضعة لها». (مباحثة شاهجهان بور ص ٣٤)

ختم النبوة أرفع من حدود الزمن

الكلام المذكور أعلاه أيضاً يتناول موضوع الكمال المعنوي أو الاحتتام المعنوي ولا علاقة له بالاحتتام من حيث الزمن. كذلك شرح مختلف العلماء كلمة «خاتم النبيين» بمعنى الزينة والخاتم الذي يلبس في الإصبع، وإضفاء الفيض والبركة، بمعنى أن الخاتم يُستعمل للتصديق. فكان النبي ﷺ مصدقاً للفضائل كلها من هذا المنطلق. ويبين سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ هذا الموضوع كمنة النبي ﷺ على الأنبياء السابقين. وكما ذكرت سابقاً أن كلمة "خاتم النبيين" لا تتعلق بالزمن بل هي أرفع من حدود الزمان والمكان. يقول حضرته ما تعريبه:

«لقد صار حضرته ﷺ خاتم الأنبياء، ولكن ليس بمعنى أنه لن يُستمد منه الفيض الروحاني في المستقبل، بل بمعنى أنه صاحب الخاتم، فلن توهب لأحد بركة إلا بفضل

” هنا يبين حضرته ﷺ مفهوماً

جديداً لخاتم النبيين، وهو أن ختم النبوة لا يكتفي بجمع درجات الكمال في نفسه بل يوسع دائرة برکاتها إلى الآخرين أيضاً. حتى يظل كل تلميذ مخلص لخاتم النبيين ﷺ حصلاً على الكمالات على مر العصور. “

ظَهَرَ فِيهِ جَمِيعُ الْمَرَاتِبِ الْمَذْكُورَةِ مَعَ انبساطها ويقال له الإنسان الكامل. العروج والانبساط على الوجه الأكمل كان في نبينا ﷺ ولهذا كان ﷺ خاتم الأنبياء». (تحفة مرسله)

ويقول مولانا الرومي رحمه الله في منظوماته الفارسية ما تعريبه:

«إن النبي ﷺ سُمِّيَ بِـ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ لِأَنَّهُ لَمْ يَلْن يَكُونْ لَهُ مِثْلٌ مِنْ نَاحِيَةِ إِضْفَاءِ الْفَيْوُضِ الرَّوْحَانِيَةِ إِلَى الْآخَرِينَ».

هنا يبين الرومي الموضوع نفسه الذي بيّنه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ بأن سيدنا محمد ﷺ يوسع دائرة فيوضه ويفيضاها إلى الآخرين.

"...وعندما يصل الصانع الخبير ذروة في صنعه ألا تقول له يا ترى: «خُتِمَتْ عَلَيْكَ الصَّنْعَةُ»؟. (المثنوي لمولانا الرومي الجزء السادس)

كذلك يقول المولوي محمد قاسم النانوتوي وهو من كبار الفرقة الديوبندية التي قد عقدت العزم في هذه الأيام على تشويه مفهوم خاتم النبيين: «يكون الأنبياء بسبب إبلاغهم الأوامر

كل من الديوبنديين والبريلويين وأهل السنة وغيرهم، وهو الإمام الرباني، مجدد القرن الثاني عشر، حضرة الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي المتوفى ١٠٣٤هـ، يقول حضرته ما تعريبه:

«إن حصول المتبعين على كمالات النبوة عن طريق الاتباع والوراثة بعد بعثة النبي ﷺ خاتم الرسل عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل الصلوات والتحيات، لا ينافي كونه خاتم النبيين، فلا تكن من الممترين». (المكتوبات: رقم ٣٠١، ص ٤٣٢، ج ١)

بعثة نبي من الأمة لا تنافي ختم النبوة
أين الآن إعلان الكتيب الحكومي القائل بأن الصلحاء الأسلاف متفوقون دون أي استثناء على أن كلمة خاتم النبيين لا تعني شيئاً إلا أن النبي ﷺ كان آخر الأنبياء من حيث الزمن ولن يأتي بعده نبي من أي نوع أبداً. ثم أقرؤوا موقف الإمام الباقر رحمه الله إذ يقول حضرته:

«.. في قول الله ﷻ: فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً. جعلَ منهم الرسلَ والأنبياءَ والأئمةَ، فكيف يُقرُّون في آل إبراهيم ﷻ وينكرونه في آل محمد ﷺ». (الصابي، شرح أصول الكافي، الجزء الثالث ص ١١٩)

إليك مرة أخرى ترجمة ما قاله مولانا الرومي رحمه الله في بيت شعره:

«حاول للخدمة في سبيل الحسنة لدرجة تحصل فيها على النبوة في الأمة». (المثنوي لمولانا الرومي الدفتر الخامس، ص ٤٢، طبعة كانبور بالهند)

فما ذا يفتي به الآن معاندو الأحمديّة عن كل هؤلاء العلماء؟ وكيف يغضون الطرف عن تلك الأقوال كلها؟ ألم يُفتضح كذبهم حين قالوا بأن صلحاء الأمة وعلماءها جميعهم متفوقون على أن كلمة "خاتم النبيين" لا تعني شيئاً إلا الأخير من حيث الزمن؟ فإننا عندما نطالع أقوال الصلحاء والأقطاب بتأملٍ وتأنٍّ نجد الأمر على عكس ما يقوله معاندونا تماماً. ومن المستحيل أن تضم اللجنة الضخمة، التي كلّفها حكومة باكستان للتحقيق في هذا الموضوع، جُهداً لا يعرفون حتى بوجود الأقوال المذكورة. لا أشك في أنهم كانوا على علم بها ولكنهم تعمّدوا التلبس وقصدوا الكذب.

وفي أي معنى يعتقد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ إمكانية النبوة في الأمة المحمدية؟ إليكم موقفه معرّباً من الأردية:

«لا يمكن أن ننال أبداً أية مرتبة من مراتب الكمال والشرف والعز والقرب دون اقتداء كامل لنبينا ﷺ. كل ما نحصل عليه يتم بفضلِهِ وبصورة انعكاسية». (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية ج ٣ ص ١٧٠) ثم يقول ما تعريبه:

«لقد مُنحتُ هذا الشرف بسبب اقتدائي الكامل لسيدنا محمد ﷺ. لو لم أكن من أمته لما نلتُ شرف المكاملة والمخاطبة أبداً وإن كانت أعمالي مثل سائر جبال الدنيا. لأن النبوات كلها قد انقطعت ما عدا النبوة المحمدية. لا يمكن أن يأتي نبي بالشرع الجديد، ولكن يمكن أن يكون نبي بغير

الشرعية بشرط أن يكون من الأمة أولاً. فبناءً على ذلك أنا نبي ومن الأمة أيضاً». (التجليات الإلهية، الخزانة الروحانية ج ٢٠، ص ٤١١، ٤١٢) ثم يقول ما معناه:

«يا قليلي الفهم! ويا عديمي البصيرة! إن نبينا سيدنا ومولانا ﷺ قد سبق جميع الأنبياء من حيث بركاته الروحانية، لأن بركات الأنبياء السابقين قد انقطعت عند حد معين. فهؤلاء الأقوام وتلك الأديان ميتة الآن لا حياة فيها، إلا أن بركات رسولنا الروحانية مستمرة إلى يوم القيامة. فليس ضرورياً أن يُبعث المسيح من الخارج رغم استمرار بركات النبي ﷺ، بل إن تربية شخص عادي في ظل حضرته ﷺ من شأنها أن تجعله مسيحاً كما جعلتني أنا الضعيف». (عين المسيحية، الخزانة الروحانية ج ٢٠، ص ٣٩٨)

والآن إليكم قول واحد من صلحاء الأمة الذي يعتبره الكتيب الحكومي أيضاً من مفكري الإسلام. أقصد إمام الهند، مجدد القرن الثاني عشر، المتكلم العظيم والصوفي المعروف، ولي الله المحدث الدهلوي. يقول حضرته:

«امتنع أن يكون بعده نبي مستقل بالتلقي».

(الخير الكثير، مكتبة القاهرة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٩٧٤م ص ٨٧)

وهذا عيّن ما قاله سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ. وعلاوة على ذلك تنعدم بالعبرة المذكورة أعلاه إمكانية مجيء

المسيح الناصري عليه السلام نهائياً إذ يقول حضرته بأنه لا يمكن أن يكون نبي لم يقتبس من بركات النبي عليه السلام مباشرة، ومن المعروف لدى الجميع عن المسيح الناصري عليه السلام أنه لم يقتبس من بركة النبي عليه السلام مباشرة كما لا يمكن له أن يفعل ذلك. فالسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو أنه عندما يأتي المسيح الناصري عليه السلام، يكون قد درس التوراة والإنجيل سابقاً لا القرآن والحديث، فهل يتخذ أحداً من الناس أستاذاً له أو يتلمذ لدى أحد من المشايخ لدراسة القرآن والأحاديث؟

يقول البعض ردّاً على هذا السؤال: لا! بل سوف يُنزل الله كلامه عليه مباشرة من جديد.. أي سينزل القرآن عليه من جديد كما نزل على محمد عليه السلام من قبل، كذلك ستنزل عليه الأحاديث أيضاً بصورة الوحي. فإذا كان الأمر هكذا فهل يعني هذا أنه يكون حاصلًا على كل هذه البركات مباشرة ومستقلاً دون واسطة نبينا الأكرم عليه السلام؟ علمًا أنه كان نبيا مستقلاً في حد ذاته ولم تكن له علاقة بأمة محمد عليه السلام. لأنه كان قد نال البركة من نبي آخر ثم بقي في السماء - حسب زعمكم - إلى ألفي سنة ثم نال النبوة مباشرة.

ثم يبين سيدنا الإمام المهدي عليه السلام معنى آخر لختم النبوة وهو أنه لا يمكن أن يأتي نبي بشريعة جديدة لأن ختم النبوة يعني جمع الكمالات والصفات الحسنة كلها. فإذا حازت شريعة ما الكمال ولم يبق كمال أو فضيلة خارجها فلا ينشأ سؤال شريعة جديدة إلا إذا مسخت أو حرّفت الشريعة الراهنة. فإذا كان القرآن مضموناً بحفظه أيضاً فالنتيجة المنطقية والطبيعية للأمرين هي أنه يحتوي على الشريعة الأخيرة، لأن الكتاب النازل على محمد عليه السلام بصفته خاتم النبيين قد أحاط بسائر الكمالات. وبالإضافة إلى ذلك فقد وعد الله عليه السلام أن حكمه سوف يمتد إلى يوم القيامة. وقال رسول الله عليه السلام: أنا والساعة كهاتين، وجمع بين إصبعيه.. أي لن يأتي أحد إلى يوم القيامة ينسخ شريعتي. هذا هو المفهوم الذي بيّنه سيدنا الإمام المهدي عليه السلام والمسيح الموعود عليه السلام، والذي يؤلم هؤلاء الناس أكثر من غيره، فيعترضون عليه تكراراً ويقولون إن الأحمديين يعلنون من ناحية أننا نؤمن بكون النبي عليه السلام خاتم النبيين، ومن ناحية أخرى يفتحون باباً لنبي يُبعث في الأمة ويقولون إن محمداً عليه السلام هو آخر الأنبياء من ناحية الشريعة، أما

فيما يتعلق ببعثة الأنبياء دون شريعة فليس النبي عليه السلام آخرهم. لا شك أن الجماعة الإسلامية الأحمديّة تعتقد الاعتقاد المذكور، ولكن اسمعوا ما يقوله الإمام المهدي عليه السلام والمسيح الموعود عليه السلام ما تعريه: «لقد أعطيت سيدنا محمد عليه السلام شرفاً خاصاً أنه خاتم النبيين بمعنى أن كمالات النبوة كلها قد خُتمت عليه. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لن يُبعث نبي بشرع جديد أو من خارج أمته عليه السلام. بل كل من يتشرف بالمكالمة الإلهية إنما يتشرف بها بفضلها وواسطته عليه السلام، ويُدعى من الأمة وليس نبياً مستقلاً». (تمة عين المعرفة، الخزائن الروحانية ج ٢٣ ص ٣٨٠) ويقول أيضاً ما تعريه: «النبوات كلها قد انقطعت ما عدا النبوة المحمدية. لا يمكن أن يأتي نبي بالشرع الجديد. وإنما يمكن أن يكون هناك نبي دون الشريعة ويكون من الأمة أولاً...». (التجليات الإلهية، الخزائن الروحانية ج ٢٠، ص ٤١٢)

تأويل الجَهْلَة
إذن هذا هو مفهوم خاتم النبيين الذي

ثم يبين سيدنا الإمام المهدي عليه السلام معنى آخر لختم النبوة وهو أنه لا يمكن أن يأتي نبي بشريعة جديدة لأن ختم النبوة يعني جمع الكمالات والصفات الحسنة كلها. فإذا حازت شريعة ما الكمال ولم يبق كمال أو فضيلة خارجها فلا ينشأ سؤال شريعة جديدة إلا إذا مسخت أو حرّفت الشريعة الراهنة. فإذا كان القرآن مضموناً بحفظه أيضاً فالنتيجة المنطقية والطبيعية للأمرين هي أنه يحتوي على الشريعة الأخيرة، لأن الكتاب النازل على محمد عليه السلام بصفته خاتم النبيين قد أحاط بسائر الكمالات. وبالإضافة إلى ذلك فقد وعد الله عليه السلام أن حكمه سوف يمتد إلى يوم القيامة.

بينه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام والذي يهاجمه الأعداء بشدة متناهية. هذا الجزء من مفهوم خاتم النبيين هو الأكثر إثارة لاعتراضهم حيث يقولون عنه إن الأمة المحمدية لم ولن تسكت عنه أبداً، وبأن الصلحاء ما زالوا يكتبون ضده على الدوام ويبنون أن النبي صلى الله عليه وآله هو آخر الأنبياء من حيث الزمن والشريعة معاً. فلا يمكن أن يُبعث نبي بعده أيّاً كان نوعه. هذا ما يقولونه اليوم تعصبا. ولكن ما ذا قال صلحاء الأمة في هذا الصدد؟ هاكم ما قاله الصوفي المعروف أبو عبد الله محمد بن علي حسين الحكيم الترمذي (المتوفى عام ٣٠٨ هـ):

«يُظن أن خاتم النبيين تأويله أنه آخرهم مبعثاً! فأى منقبة في هذا؟ وأي علم في هذا؟ هذا تأويل البُله الجَهْلَة». (كتاب ختم الأولياء، المكتبة الكاثوليكية، بيروت عام ١٩٦٥م ص ٣٤١)

هذا هو تأويل البُله الجَهْلَة الذي تريد حكومة باكستان أن تفرضه على المسلمين في العالم بأسره. إذا قلنا لهم إنكم من ناحية تقولون إنه لن يبعث بعد الرسول صلى الله عليه وآله نبي أيا كان نوعه، فما معنى انتظاركم إذن المسيح الناصري عليه السلام؟ فأقلعوا عن فكرة انتظاركم إياه واستريحوا، فقد سُدَّت جميع السبل لمحجيء أحد في هذه الأمة. فيردون علينا: بل الأمر هو أن الرسول صلى الله عليه وآله كان آخر الرسل مبعثاً، ومن حصل على النبوة قبله صلى الله عليه وآله فلا حرج في مجيئه مرة أخرى ولو كان ظهوره في الدنيا بعد النبي صلى الله عليه وآله.

هذه هي حججهم الوحيدة، ثم يقولون: هذا ما اعتقد به الصلحاء القدامى أيضا. ولكن قولهم هذا كذب صريح وشنيع في الوقت نفسه. ولو قبلنا هذا التأويل لكان تأويل الجَهْلَة البُله إذ لا يضيف إلى عظمة الرسول صلى الله عليه وآله شيئا. وإليكم الآن ما قاله الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي (المتوفى ٦٣٨ هـ):

«فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق وإن كان التشريع قد انقطع. فالتشريع جزء من أجزاء النبوة». (الفتوحات المكية ج ٣ ص ١٥٩ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة عام ١٩٩٤م، مكتب البحوث والدراسات)

أقول لمعارضينا: وجهوا الآن سهم تكفيركم إلى الشيخ الأكبر الذي يقول أيضا:

«إن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله إنما هي نبوة التشريع، لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخاً لشرعه صلى الله عليه وآله، ولا يزيد في شرعه حكما آخر. وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي. أي لا نبي يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان، يكون تحت حكم شريعتي. ولا رسول.. أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه. فهذا هو الذي انقطع وسُدَّ بابه، لا مقام النبوة». (الفتوحات المكية ج ٣ الباب الثالث والسبعون ص ٤ في معرفة ما يحصل من الأسرار للمشاهد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة البحوث

والدراسات، الطبعة عام ١٩٩٤م) لقد ألقى الشيخ الأكبر رحمه الله ضوء على هذه المسألة بوضوح تام ويستغرب الإنسان كيف يتعمى المعارضون عنه؟ أقول مرة أخرى: إنهم يقومون بما يناهون مقتضى التقوى نهائيا بحيث لا يمكن أن يجهلوا كل هذه الأقوال التي قدمتها الأحمدية أكثر من مرة. وعلاوة على ذلك إنهم بأنفسهم يُعتبرون من العلماء في بادي الرأي.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره يقول حضرة الشيخ بالي الأفندي (المتوفى ٩٦٠ هـ):

«خاتم الرسل هو الذي لا يوجد بعده نبي مشرع». (شرح فصوص الحكم، ص ٥٦)

من الواضح أن الشيخ لا ينكر بعثة نبي غير مشرع، وإنما ينكر محجيء نبي مشرع إذ يقول: «لا يوجد بعده نبي مشرع». ونورد الآن مقتبساً من كتاب «اليواقيت والجواهر» ج ٢ ص ٣٥، للإمام عبد الوهاب الشعراني، وكتابه هذا يحتل مكانة مرموقة في صلحاء الأمة، فيقول:

«اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقاً بعد محمد صلى الله عليه وآله، إنما ارتفعت نبوة التشريع فقط». (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للإمام عبد الوهاب الشعراني، الجزء الثاني ص ٣٥، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٩٠٠م)

ويقول السيد عبد الكريم الجيلاني:

«فانقطع حكم نبوة التشريع بعده،

مَنْ هم أهل الإسلام الذين لا يروق لهم هذا الكلام؟ نحن الأحمديين أم أنتم أيها المعاندون؟ هذا الذي تعتبرونه من كبار مرشديكم وهو بالإضافة إلى ذلك مؤسس المدرسة الفكرية «ديوبند».. يقول: إن الذي يرى أن الرسول ﷺ آخر الأنبياء من حيث الزمن، لا يُعد من أهل الإسلام، في حين أن الاعتقاد نفسه هو من معتقداتكم الأساسية.

وأقدم الآن رأي عالم آخر من علماء الفرقة البريلوية أو أهل السنة، اسمه السيد أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي الفرغني محلي، يقول في كتابه دافع الوسواس ص ١٦، وهو يشرح موقفه من ختم النبوة فيقول:

«لا يستحيل وجود نبي في زمن النبي ﷺ أو بعده، بل يمتنع أن يكون بشريعة جديدة».

ويقول العالم نفسه: إن ما ذكرته آنفا ليس اعتقادي أنا فحسب بل ما زال علماء أهل السنة أيضا يصرحون بذلك. فيقول في موضع آخر:

«ما زال علماء أهل السنة يصرحون أنه من المستحيل أن يكون في عصر الرسول ﷺ نبي بشريعة جديدة وأن نبوته ﷺ نبوة عامة. فالنبي الذي يكون في عصره ﷺ

ويقول المولوي محمد قاسم النانوتوي: «العامّة يرون كون رسول الله خاتم النبيين. بمعنى أن زمنه كان بعد الأنبياء السابقين وهو آخر نبي». أقول: ما يعتبره مؤلفو الكتيب الحكومي رأي العلماء، يقول عنه مؤسس المدرسة الفكرية «ديوبند» أنه رأي عامة الناس. أما رأي العلماء وأهل الفهم فهو - عنده - كالتالي:

"غير أنه يكون من الواضح على أهل الفهم أنه ليس للتقدم الزمني أو تأخره أية أفضلية في حد ذاته. ففي هذه الحالة كيف يصح أن يكون قوله تعالى: "ولكن رسول الله وخاتم النبيين" مدحًا؟ إما إذا لم نعتبر الوصف المذكور مدحا ولم نعتبر هذه المنزلة مقام المدح، عندها قد يصح أن يكون مفهوم خاتم النبيين بمعنى التأخر الزمني".

أي لا يمكن أن يُستمد هذا المعنى من كلمة "خاتم النبيين" دون إهانة الرسول ﷺ. وذلك إذا قلتم - كما ترعمون - إن الآية المذكورة ما نزلت في محل المدح بل في محل الذم (والعياذ بالله). على أية حال يضيف حضرته ويقول:

«ولكنني أعرف أن هذا الكلام لن يروق لأحد من أهل الإسلام». (تحذير الناس ص ٣)

وكان محمد ﷺ خاتم النبيين، لأنه جاء بالكمال ولم يجئ أحد بذلك». (الإنسان الكامل ج ١، ص ٧٦ طبعة مصر) وقال الشيخ عبد القادر الكردستاني: «إن معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يُبعث بعده نبي آخر بشريعة أخرى». (تقريب المرام ج ٢ ص ٢٣٣)

من الواضح أن لهذا الكلام معنيين: أنه لا يبعث نبي بشريعة أخرى سابقة غير شريعة محمد ﷺ ولا يبعث أحد بشريعة جديدة بعد شريعة محمد ﷺ. فمن هذا المنطلق يغلق باب مجيء عيسى عليه السلام أيضا لأنه كان - حسب القرآن الكريم - «رسولا إلى بني إسرائيل»، وكان تابعا لشريعة موسى عليه السلام.

أين الثرى والثريا؟

يقول حضرة ولي الله المحدث الدهلوي مجدد القرن الثاني عشر:

«ختم به النبيون.. أي لا يوجد من يأمره الله سبحانه بالتشريع على الناس». (تفهيمات إلهية، ج ٢، ص ٧٢، ٧٣)

هذا رأي مجدد القرن الثاني عشر الذي يعتبره الكتيب الحكومي قمة بين مفكري الإسلام.

» إن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع، لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخا لشرعه ﷺ، ولا يزيد في شرعه حكما آخر. وهذا معنى قوله ﷺ إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي. أي لا نبي يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان، يكون تحت حكم شريعتي. ولا رسول.. أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه. فهذا هو الذي انقطع وسد بابه، لا مقام النبوة.. (الفتوحات المكية ج ٣ الباب الثالث والسبعون ص ٤ في معرفة ما يحصل من الأسرار للمشاهد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع... الطبعة عام ١٩٩٤م)

«

يكون تابعًا للشريعة المحمدية». (مجموعة الفتاوى للمولوي عبد الحي ج ١ ص ١٧) أما فيما يتعلق بكتيب نشرته حكومة باكستان بعنوان: "القاديانية، الخطر الرهيب على الإسلام"، فمن التصريحات الواردة فيه قولهم:

«ما زالت فكرة "ختم النبوة" (أي كون النبي ﷺ آخر الأنبياء زمنًا حسب زعمهم) من مبادئ الإسلام الأساسية عبر تاريخ الإسلام كله. وكان طابع هذه الفكرة عميقًا جدا في رؤية المسلمين وتصرفاتهم ومشاعرهم». (الكتيب المذكور ص ٥)

السؤال هو أنه فيما يتعلق بدراسة التاريخ الإسلامي فلا نجد ذكر هذه الفكرة وآثارها كما لا نرى لهذا الطابع أثرا على صلحاء الأمة والأقطاب الذين احتلوا مكانة مرموقة في الأمة. إذن فمن أين أخذ معاندونا هذا الطابع؟ بحثت كثيرا عن مصدره - رغم أنني كنت على يقين أنهم لم يأخذوه من صلحاء الأمة المحمدية - حتى وجدت أن القرآن قد بيّن مصدره مسبقًا حيث، يخبر

الله ﷻ في كلامه المجيد:

[وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ] (الغافر: ٣٥، ٣٦)

فتبين لي من القرآن أن الله تعالى يطبع على قلوب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان. إذن هذا هو مصدر طابعهم المذكور. يقول الله تعالى: هذا ما تعلمت في زمن يوسف ﷺ أيضا. ما دام يوسف حيا يرزق ظل يقدم حججه، ولكنكم ما أصغيتم إليه بل بذلتم قصارى جهودكم في المعارضة، وإذا هلك قلت: لن يبعث الله بعده رسولا. وهكذا خرجتم من طاعة يوسف بسبب رفضكم إياه، ومن ناحية ثانية خلعتن نير طاعة النبوة على الدوام بسبب اعتقادكم أنه لن يبعث الله رسولا

في المستقبل. إذن فهذا الاعتقاد الخاطيء كان سائدا منذ زمن سيدنا يوسف ﷺ وليس بدعا في الأمة المحمدية. من الممكن أن يقولوا بأن هذا القانون كان سائدا إلى زمن النبي ثم جاء بعده ﷺ قانون جديد. ولكن القرآن الكريم يسد طريق كل خطر فلا يسع أحدا أن يتغلب عليه بفضل قوته وعقليته المعقدة. فيبين الله تعالى الموضوع في آية أخرى حيث يقول:

[..... وَأَنْهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا] (الجن: ٥-٨)

يتضح من هذه الآيات أنهم كانوا يزعمون في تلك الأيام - أيام الرسول ﷺ - أيضا حمقا وغباوة منهم أن لن يبعث الله أحدا. ولكن في زمننا هذا يقول معارضونا إن سنة الله قد تغيرت فعلا، والآن لن يُبعث أحد في الحقيقة. أقول: إذا كان الأمر هكذا فلماذا ضرب الله مثل غباوة هؤلاء الناس وحمقهم، ولأي سبب بين ذلك لنبيه ﷺ؟

الأعرابي والوايلي

وقف أعرابي مشوه الفم أمام أحد الولاة يلقي قصيدة يمدحه فيها طلبا للمكافأة، ولكن الوايلي لم يعطه شيئا بل سأله: فما بال فمك معوجا؟.. قال الأعرابي: لعل عقاب الله.

قال الوايلي: لأية شيء عاقبك الله؟ قال الأعرابي: لكثرة ما كذبت بالثناء الباطل على بعض الناس.